و(القانون المحقق في علم المنطق)، و(الجواب القاطع للتمويه عما يرد على الحكمة والتنزيه)، و(الجواب الرائق في تنزيه الخالق)، و(الجوابات الوافية بالبراهين الشافية)، و(الكاشف للغمة عن الاعتراض عن الأمة)، و(الرسالة الوازعة لذوي الألباب عن فرط الشكّ والارتياب)، و(الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبّ أصحاب سيد المرسلين). وله غير ذلك من المصنفات الكثيرة حتى قيل إنها بلغت إلى مائة مجلد. ويروى أنها زادت كراريس تصانيفه على عدد أيام عمره. وهو من أكابر أئمة الزيدية بالديار اليمنية، وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان وسلامة صدر وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل، ومبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن. وهو كثير الذبّ عن أعراض الصحابة المصونة رضي اللَّه عنهم، وعن أكابر علماء الطوائف رحمهم اللَّه. وقد دعا إلى نفسه عقب موت الإمام المهدي مُحمَّد بن المُطهّر المتقدم ذكره، وعارضه الإمام عليّ بن صَلاح بن إبراهيم بن تاج الدين، والإمام الواثق المُطهّر بن مُحمَّد بن المُطهّر الفصيح المشهور صاحب الرسالة المتداولة التي شرحها الحَيْمي من المتأخرين. ومن جملة المعارضين له السيد أحمد بن عليّ بن أبي الفَتْح الدّيلمي، ولكن أجاب الناس في الديار اليمنية دعوة صاحب الترجمة ولم يلتفتوا إلى غيره. وكان من الأئمة العادلين الزاهدين في الدنيا المتقللين منها، وهو مشهور بإجابة الدعوة، وله كرامات عديدة. وبالجملة فهو مِمَّن جمع اللَّه له بين العلم والعمل والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومات في سنة ٧٠٥ خمس وسبعمائة بمدينة ذمار، ودفن بها وقبره الآن مشهور مَزُور. وممَّا شاع على الألسن أنه إذا دخل رجل يزوره ومعه شيء من الحديد لم تعمل فيه النار بعد ذلك. وقد جرّبت ذلك فلم يصحّ. وكذلك اشتهر أنه إذا دخل شيء من الحيَّات قبته مات من حينه.

(٥٧٩)

(يَحْيَى بن صَالح بن يَحْيَى الشَّجري ثم الصَّنعاني المعروف بالسّحولي)[1]

ولد في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ١١٣٤ أربع وثلاثين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، وأخذ عن والده، وعن جماعة من العلماء في الفقه، وفي الحديث عن السيد العلَّامة عبد اللَّه بن لُطف الباري الكَبْسي المتقدم ذكره. وبرع في الفروع، وشارك في غيرها، واتصل بالإمام المَنْصُور باللَّه الحُسَين بن القَاسِم فولّاه القضاء، فباشره بصرامة وشهامة وفطانة وهو دون العشرين، ففاق على المباشرين للقضاء،

(١) ترجمته في: الأعلام: ٨/ ١٥١؛ معجم المؤلفين: ١٣/ ٢٠٣؛ نيل الوطر: ٢/ ٣٨٤.

وتقدم عليهم، وتصدّر في الديوان وفيه علماء أكابر كالسيد العلَّامة أحمد بن عبد الرَّحْمٰن المتقدم ذكره، وبهر الناس بحسن تصرفه وجودة ذكائه وحفظه لقضايا الشجار واستحضاره لما تقدم عهده منها، فقرَّبه الإمام المنصور باللَّه وعظّمه وفوّض إليه غالب أمورِ القضاء؛ فلما مات الإمام المنصور باللَّه في سنة (١١٦١) وقام بعده ولده الإمام المهدي لدين اللَّه العبَّاس بن الحُسَين بالغ في تعظيم صاحب الترجمة، وضمّ إليه الوزارة إلى القضاء، وصار غالب أمور الخلافة يدور عليه. وعظمت هيبته في القلوب، واشتهر صيته، وطار ذكره، فاستمرّ كذلك إلى سنة (١١٧٢) فنكبه الإمام المهدي، واستأصل غالب أمواله، وسجنه، فاستمرّ مسجوناً أعواماً، ثم أفرج عنه، ولزم بيته، والناس يتردّدون إليه لأخذ العلم عنه، ويستفتونه في المعضلات. فاستمرّ كذلك حتى مات الإمام المهدي في سنة (١١٨٩)، وصارت الخلافة إلى مولانا الإمام المنصور باللَّه عليّ بن العبَّاس حفظه اللَّه، فأعاد صاحب الترجمة إلى القضاء الأكبر، وفوّض إليه جميع ما يتعلق بذلك، وصار إليه المرجع من جميع قضاة الديار اليمانية، فباشر ذلك بحرمة وافرة، ومهابة زائدة، وفخامة عظيمة، وصار المتصدر في الديوان، وليس لأحدٍ من القضاة معه كلام، بل ما أبرمه لا يطمع أحد في نقضه، وما أبطله لا يقدر غيره على تصحيحه. وكان الخليفة حفظه اللَّه يُشاوره فيما يعرض من الأُمور المهمة الخاصة بأمور الخلافة، بل كان الوزراء جميعاً يتردّدون إليه ويعملون بما يرشدهم إليه. وبالجملة فكان صَدْراً من الصدور متأهلاً للرياسة ذا دراية بالأمور، قد حنَّكته التجارب، ومارس جميع الأمور المتعلقة بالمملكة، وعرف أحوال الناس، وأحاط بجميع الأمور العرفية، مع فطنة عظيمة وذكاوة مفرطة، وحافظة باهرة، حتى اشتهر في الناس بأنه إذا ذهب سجل من أسجال الخصومات على رجل متمسك به وجاء إليه بعد سنين كتبه بلفظه لا من ديوان يجمع فيه ما يتفق من ذلك، بل من حفظه، وهذا شيء يتقاصر عنه غالب القدر البشرية. وكان لعظمته في الصدور وجلالته عند الجمهور بمحل يقصر عنه الوصف، بل كان يقال في حياته إنه إذا مات اختل نظام المملكة فضلاً عن نظام القضاء. واستمر على ذلك إلى أن مات. وكان له اطلاع تامٌّ على كتب الأئمة وسائر علماء الزيدية وشغلة عظيمة بذلك، وكذلك بغيرها، فإنه كان يقرأ عليه جماعة من علماء صنعاء في صحيح مسلم، وفيه من سعة الصدر وحسن الخلق وكمال السياسة وجودة الرأي ما لم يسمع بمثله في أهل العصر. والحاصل أنه من رجال الدهر حزماً وعزماً وإقداماً وإحجاماً ودهاءً وتوددا وخبرةً ورياسةً وسياسةً وجلالةً ومهابةً وفصاحةً ورجاحةً وشهامةً. ولما (مات) في أول يوم من رجب سنة

١٢٠٩ تسع ومائتين وألف، أمرني مولاي الإمام المنصور باللَّه حفظه اللَّه بالقيام بما كان صاحب الترجمة يقوم به من القضاء حسبما شرحته في ترجمة مولانا الإمام حفظه اللَّه من هذا الكتاب. ولصاحب الترجمة رسائل وفتاوى رأيتها مجموعة في مجلد لطيف، وله رسالة سمَّاها (التثبيت والجواز) أجاب بها على اعتراض العلَّامة الحَسَن الجَلال على مؤلف القاضي العلَّامة إبراهيم بن يَحْيَى السّحولي الذي جمعه في إسناد المذهب، وسمَّاه (الطراز المذهب). ولصاحب الترجمة نظم كنظم العلماء، ومنه ما كتبه إليّ قبل موته بنحو سنة ابتلاء، ولم يكن بيني وبينه اتصال، بل لم أجتمع به قطّ وهو: [من البسيط]

يا أنفعَ الناسِ في التدريسِ في البلدِ ... وباذلاً نَفْسَهُ في طَاعةِ الصَّمَدِ[١]

ويا جَمالَ أولي التّحقيقِ عن كملٍ ... على تَواضعِ أهلِ الفَضْلِ والرّشدِ

ومنْ لهُ القلبُ يَقْضي بالمَحبَّةِ في ... حُبِّ المُهَيْمن لا زالتْ على الأبدِ

بَقيتَ تُحيي رُبوعَ العلمِ مُجتهداً ... في نَشْرها عن أَولي التّحقيقِ والسّندِ

ولا شُغِلْتَ بآفاتِ العُلومِ ولا ... بَرِحْتَ في اللطف من خَلَّاقِنا الأحدِ[٢]

وهي أبيات أكثر من هذا، فأجبته بقولي: [من البسيط]

يا مَنْ لهُ في المعالي أرفعُ السَّندِ ... ومَنْ غَدا باتفاقٍ بَيْضَةَ البَلدِ[٣]

نظامُكَ الدرّ يا ابنَ الأكرمين أَباً ... أهداهُ خيرُ أبٍ برٍّ إلى وَلدِ

لا زِلْتَ تَفري أديمَ الجهلِ عن نَفَرٍ ... لَمْ يعرفوا الفرقَ بين النقدِ والنَّقَدِ[٤]

وَدُمْتَ ترفعُ مَنْ رَامَ التوثُّبَ في ... مَسارحِ الشرعِ عطلاناً عن العَدَدِ

لَوْلاكَ صارَ القَضَا في العَصْرِ مَلعبةً ... سِياسة باسم شَرْعِ الواحدِ الصَّمَدِ[٥]

فاللَّه يُبقيكَ تُحيي منْ مَراسمِهِ ... مَعاهداً وتَحوطُ الدينَ عنْ أَوَدِ[٦]

---

(١) الصَّمَدُ: من أسماء اللَّه الحُسْنَى.

(٢) آفات العلوم: عُيوبها. اللُّطْفُ من اللَّه: التوفيق والعِصْمَة.

(٣) بيضةُ البلد: سَيِّدُها، وشريفها.

(٤) تفري: تَشُقُّ. الأديمُ: الجِلْدُ. النَّقْدُ: العملة من الذهب أو الفضة، وغيرهما مما يُتعامل به، والنَّقْدُ في البيع: خِلافُ التأجيل. النَّقَدُ: صغار الغَنَم، أو ضربٌ من الشجر له نَوْرٌ أصفر، ينبت في القيعان.

(٥) القَضَا: القَضَاءُ.

(٦) حاطَ الشيءَ: حَفِظه وتَعهَّده. الأَوَدُ: الاعوجاج.